عابد خزندار في الجزء الثالث من مكاشفاته (٣-٤):

الحركة الحداثية السعودية مجرد فقاعة سرعان ما تبخرت ومعركتها زوبعة في فنجان

- كان مقلدو أدونيس لدينا كالمسخ وأساؤوا لحركة الحداثة بأكملها.
- كانت لي نشاطاتي الثقافية في باريس مع أدونيس وجورج طرابيشي وزياد دلول.
- كل الذين ركبوا موجة الحداثة المحلية لم يكونوا مثقفين باستثناء هؤلاء الثلاثة فقط.
- كتاب ألف ليلة وليلة هي واقعية سحرية و زاخرة بإعجاز سردي.
- لا يوجد في الإسلام رجال دين بالمعنى الكهنوتي.

بين يدي مكاشفات

" أزعم أنني متابع للصحافة السعودية منذ خمسين عاماً، وأؤكد أن الموضوع الذي تطرقتم إليه في مكاشفات العدد الماضي لم يُتطرق إليه في الصحافة السعودية على امتداد ذلك التأريخ. وكنتم أول صحيفة تتناول هذا الموضوع بهذه الصراحة ". تلك الشهادة أُدلقت على مسمعي من لدن أبي الشيماء الأستاذ محمد سعيد طيب حال مهاتفتي له يوم الجمعة الماضي. وإذ أكرمنا سعادته بهذه الشهادة التي تسجّل لـ (لرسالة)، لأستأذن قارئي الكريم وزملائي بأن أمضي في سرد جوابي لهذا الإعلامي المخضرم، الذي بادرته من فوري قائلا " إنّ الفارس الحقيقي - أستاذنا الكريم - بالإضافة إلى ضيفي هو الزميل الأخ عبدالله العمري الذي كان يعي جيداً مسؤوليته المهنية والوطنية وكان حقاً بحجمها.." .أحببت تسجيل ما مضى، كاعتراف

نشر اللقاء في يوم الجمعة ٢١ ذوالقعدة ١٤٢٣ هـ في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة

بفضل العمري، وهو في تصوري حقّ يجب أن يُنسب إليه طالما أنّ تلك الحلقة من مكاشفات اقتعدت مكانها في تأريخ الصحافة السعودية بشهادة أبي الشيماء.

وأودّ التعرض في هذه المقدمة إلى أمر غاية في الأهمية من وحي تجربة شخصية، تتعلق في (أسطرة) وقائع وأحداث تلك الحقبة من تأريخنا السياسي المحلي. لا يتصور قارئي الكريم مدى الذهول الذي انتابني عندما صعقني ضيفي الخزندار بهدوئه المستفز بأنه لم يُمض في السجن سوى عامين كانا من أهدأ سني عمره، ولم يتعرض قط لأي تعذيب. ومحاوره المسكين أتى إليه وقد استقصى ما يقارب الشهرين عن ضيفه ليترسّب في روعه أنّ الرجل، ورفيق دربه الجهيمان، قد تعرضا للتعذيب وعوملا بوحشية بسبب أفكارهما الشيوعية (لاحظ ذلك). ومعلومات متداولة مهولة عن دور الجهاز السري. لا شك أنني صدمت لكل تلك المغالطات التأريخية التي تتشافه وتجوب المجالس والمنتديات الخاصة. ولا حلّ في رأيي إلا بما طرحته سابقاً في استنطاق المرحلة بشفافية مطلقة عبر رجالها الحقيقيين الذين عاشوها بدقائقها..

الأمر الآخر الذي بودي التوقف عنده، هو دور فضيلة الشيخ محمد بن جبير العظيم في تلك المرحلة.

وأزعم أنّ أجيالنا الجديدة لا تعرف عن الرجل سوى رئاسته لمجلس الشورى. وإذ بنا نفاجأ بأنه من تولى محاكمة الأفراد الذين أوقفوا. وقد أسبغ فضيلته عليهم من تسامحه وعدله وأريحيته رحمه الله. ضارباً أنموذجاً مشرّفاً للقاضي النزيه المنتمي للمؤسسة الدينية المحلية التي لطالما غُمزت من البعض. هاهو أبو الشيماء يكرمنا اليوم بشهادة تنمّ عن وفاء وخلق عظيم تجاه ذلكم القاضي الذي حاكمه. وكم كنا سنسعد لو تتالت الشهادات من قبل أولئكم الرجال الذين عاشوا تلك الأحداث،

كشهادة للمجتمع والتأريخ. وأختتم بدعوة لكل الذين ينقمون على مؤسسة القضاء المحلية بدعوتي لتأمل هذا التعامل العادل الرحيم لفضيلته إلى درجة نهره لأكبر ضابط أمام متهم مستضعف لا يملك حولاً ولا قوة في حاله تلك. وفي كل الأحوال لا أدّعي في المقابل العصمة فتلك بشرية تتقمّصنا جميعاً. غير أني أقصد هنا أن الموضوعية في النقد تحتّم الإشارة إلى هذه النماذج الرفيعة من علمائنا الكرام وقضاتنا الغرر من لدن أولئك الناقمين أو العاتبين..

رسالة خاصة :

الى أديبنا المربّي : د. عاصم حمدان

تبقى وما تزال أستاذاً في فن التعامل ودماثة الخلق. وإذ وهبتك "طيبة" من تسامحها وأريحيتها وطهرها - وحرمت آخرين فجعنا بهم - لأستأذنك أيهذا النبيل في بسط حجتي حيال عتابك الذي مرّرت - بأستاذية - عبر سطورك الشفيفة في العزيزة (الأربعاء) أول أمس، وثق أنّ عتاب "الوالد والأخ النصوح" قد وضعها ابنك في المكان الذي تحبّ. بيد أنك ستوافقني بأن إسباغ "الملائكية" هو نوع من التزوير وقلب الحقائق. وإذا تواطأنا كجيل، ومرّرنا ما يراد وما يملى ولم نوثق الحقائق التي تسطع كنور الشمس أمام أعيننا سنكون - وصدقني يا سيدي- أضحوكة للأجيال الجديدة ولتأريخنا المحلي..

أعد أستاذي ووالدي وأخي الشفيق قراءة الحلقة، وأعد قراءة الشخصيات التي استضافها تلميذك في كل مكاشفاته، وتمعّن أسلوبه، وأجبه بعدئذ بموضوعيتك المثلى التي لا تفارقك: هل هو الملوم حقاً في كل ذلك عندما تواطأ البعض ودفعوا برمي التهمة عليه!! خاصة أنه أقسم لك بعدم معرفته الخلفيات التي تحدثت عنها..

عبدالعزيز قاسم

❁ **استأنف معك أستاذ عابد، وأبدأ بسؤالك عن الفترة التي أعقبت خروجك من السجن. هل سافرت إلى فرنسا مباشرة ؟**

- قبل أن أجيب عن أسئلتك في هذه الحلقة أريد أن أندّد بالحملة التي تشنها صحيفة (البلاد) في هذه الأيام بالخلط بين الإقليمية الضيقة والوطنية بما في ذلك من تفرقة لأبناء الوطن، وخاصة في هذا الوقت الذي ترتفع فيه أصوات اللوبي اليهودي وبعض الكونجرس بالمطالبة بتقسيم المملكة، والأمر لا يقتصر على ذلك، بل إن القائم على إدارة التحرير يعرض ببعض أبناء الوطن حين يقول: "البلاد هذا التاريخ الطويل العميق الجذور في حياتنا وحياة هذه الأرض منذ أكثر من سبعين عاماً وأكثر من ذلك باسمها " صوت الحجاز " كانت منبراً مشعاً في هذا المجتمع قبل أن يكون للآخرين جذور في هذه الأرض " (البلاد العدد الصادر في ١٦ ذي القعدة ١٤٢٣ الموافق ١٩ يناير ٢٠٠٣) ومن الواضح أنه يعرض بالأخ عبد العزيز قاسم؛ لأن أصوله تعود إلى بلاد بخارى، وليس ذلك فحسب بل يعتبر سكان مكة المكرمة مواطنين من الدرجة الثانية؛ لأنهم من أصل جاوي أو هندي أو فارسي؛ فهذه عصبية جاهلية ونعرة كنا نحسب أنها قد انتهت بعد أن مرت سبعون عاماً على وحدة الوطن؛ ولهذا يجب أن نعمل جميعاً على أن تخرس هذه النغمة الممجوجة التي تفرق بين أبناء الوطن وتزرع الفتنة فيهم .

وعودة إلى سؤالك فأقول : لا، لم أذهب إلى فرنسا، كان ذلك بعد تسع سنوات من خروجي، هذا هو الجانب المظلم في حياتي. كنت معطلاً في البداية، ثم اشتغلت مع والدي في المكتبة. بعد ذلك سمحوا لي بالسفر عام ٧٤ فغادرت إلى باريس والتحقت بالجامعة الأمريكية هناك لدراسة الأدب الفرنسي.

❁ **أشكر لك غيرتك الوطنية ولا تعليق البتة من جهتي على ما صدر. فنحن أكبر أستاذ عابد من أن نلغ في عنصريات تجاوزناها بثقافتنا وبقي أولئك بعقلياتهم، ونحن أفراد وطن سربلت هواءه السماحة ورضعنا منه الشيم، وأكمل معك. طالما وصلنا بمعيتك الآن إلى فرنسا . دعني أتهمك هنا أستاذ عابد بأن المتتبّع لمسيرتك لا يجد لك أي صدى أدبي إبّان إقامتك في باريس التي لم يكن لك فيها حضور ثقافي على الرغم من صلاتك وعلاقاتك الكثيرة.. هل مرد ذلك الانطوائية الأولى أيضاً؟**

- على العكس كانت تلك المرحلة مليئة بالنشاط، حيث التقيت بعدد جيد من المثقفين وكنا نجلس عادة في أحد مقاهي الحي اللاتيني. ومن أولئك الفنان أسدوف وجورج طرابيشي، وأدونيس، وزياد دلول، وأسعد عرابى، وكانت لنا أنشطتنا الثقافية.

أدونيس والحداثة

❁ **هنا أستاذ عابد، أنت جليس لأدونيس، ومع ذلك هاجمته بقسوة مرات عديدة في نثارك وكتبك على كلامه حول الحداثة والتراث؟**

- هذا صحيح. الحداثة هي مصطلح غربي ولا يبدو منطقياً ربطها بجذر في تراثنا العربي والإسلامي.

❁ **هل أطمع بتوضيح أكثر حول علاقتك مع أدونيس، وتلك المسائل التي اختلفتما أو اتفقتما حولها ؟**

- أنا أولاً معجب بأدونيس كشاعر، وأعتبره من أعظم الشعراء العرب، وهذا لا يمنع من أن أختلف معه في الرأي.

❀ **أدونيس، ومن بعده الغذامي يزعمان أن جذور الحداثة تمتد إلى تراثنا، وضربوا مثلاً بأبي تمام باعتباره رائداً للحداثة الشعرية في مشهدنا العربي ؟**

- هنالك أقوال أخرى أيضاً، تصف الاشتراكية بأنها من الثقافة الإسلامية. الحداثة ظهرت في أوروبا فكيف نصف أبا تمام بأنه كان حداثياً. ممكن نقول إنه كان مجدداً.

يا أخي، إننا لا نستطيع أن نطلق على الإسلام أوصافاً أو مصطلحات غربية كالاشتراكية أو الليبرالية، كما لا نستطيع أن نطلق أوصافاً غربية على الأدب العربي.

باريس محفورة في الذاكرة

❀ **لأعد إلى باريس، ولا أود ترك هذه الفترة من حياتك، هذه المدينة الساحرة التي تركت ذاكرتها مطبوعة في أثر عديد من الأدباء كطه حسين وتوفيق الحكيم وسهيل إدريس ومحمد مندور وغيرهم؛ فكتبوا عنها بوله وافتتان. سؤالي هنا : ما الذي تركته باريس من ذاكرة في فكر وحياة عابد خزندار؟**

- من تحصيل الحاصل أن أقول إن باريس هي مدينة النور، فهي كذلك فعلاً.. إنها العاصمة الثقافية الأولى في العالم.. بمتاحفها ومكتباتها العامة ومعارضها ومنتدياتها الثقافية الكبيرة.. هذا فضلاً عن جامعاتها ومعاهدها ذات الأنشطة.. وأنا كنت أدرس في جامعة... ومن الذكريات مجيء بورخيس إلى باريس..

❀ **عفواً أستاذ عابد واسمح لي بالاعتراض عليك هنا وتحديداً في لفظة مدينة النور التي ذكرت. أعرف أن تياراً عريضاً من المحافظين بل حتى من الناس البسطاء لا يرون ما تقوله صحيحاً أو مناسباً لمثقف سعودي. أولئك يرون أن**

باريس هي عاصمة التنور العلماني وحداثة فوكوه وبارت، وهي عاصمة الكاثوليكية السياسية. يرون في باريس عاصمة الاستعمار الفرنسي للشام والمغرب العربي بكل قسوته ووحشيته. فكيف تغفل عن هذا في مقابل سنوات عشتها لدى أولئك القوم ؟

- العلمانية مصطلح غربي وهى نشأت لفصل الكنيسة عن الدين، وللقوم أسبابهم التي دفعتهم إلى ذلك؛ فالبابا كان يعين الملوك ويفصلهم وكانت له سلطة مطلقة، أما في الإسلام فليست لدينا مثل هذه المشكلة، إذ لا توجد لدينا حكومة دينية بالمعنى الذي كان موجوداً في أوروبا، بل توجد حكومة تطبق الدين، ولا يشترط في الحاكم أن يكون من (رجال الدين) وقد وضعت هذه الكلمة بين قوسين؛ لأنه لا يوجد في الإسلام رجال دين بالمعنى الكهنوتي كما قلت آنفاً، أما باريس فهي عاصمة النور بالنسبة للفنون وليس للأديان، أما بارت وفوكوه فهما ناقدان، وأنا أتفق مع فوكوه في الكثير من آرائه، وخاصة ما يتعلق منها بنظام السجن وتقييد الحريات، أما بارت فهو واحد من الذين أسسوا علم السرد، وليس في هذا العلم أي مذهبية سياسية أو إلحادية، وأنا أتفق معه في الكثير من آرائه وخاصة في النقد الثقافي كنقد الموضة.

❁ **على العموم، هل كتبت شيئاً عن هذا الحب الذي تكنه لباريس ؟**

- نعم. كتبت عن ذلك في مقالاتي بجريدة الرياض.

❁ **لا أقصد تلك الإيماءات القصيرة في الأعمدة الصحافية، بل أقصد التوثيق عبر إصدار كتاب مثلما فعل أولئك الذين عبروا على باريس من الأدباء والمثقفين؟**

- لا . لم أكتب كتاباً عن حياتي في باريس.

❁ **يبدو لي أن المسألة تستحق أن تفكر فيها، وتبقى سجلاً ووثيقة لأجيال جديدة من أبناء الوطن ستأتي وتنظر كيف تعاملتم أنتم من ذهب إلى تلك الحضارة وافتتنوا بسحرها؟**

- ربما أفعل ذلك، ومن يدري. على رغم من مشاغلي الكثيرة، فأنا اكتب عموداً يومياً وأقوم بالترجمة وكتابة رواية وكتابة الذكريات. وبالتأكيد سأدون مرحلة باريس في تلك الذكريات.

❁ **وقبل أن أختم معك مرحلة باريس، بودي توجيه سؤال لك يتلخص في التالي: هل نستطيع القول بأن عابد خزندار هو صوت فرونكوفوني.. وإن كان صوتاً مختلفاً نوعا ما عن أولئك الفرنكوفونيين العتاة ؟**

- مع أنني لا أحبذ أن أتكلم عن نفسي، ولكن يمكنك القول إنني متنوع الثقافة. لقد ألفت كتاباً في الشعر الجاهلي مثلاً. وثقافتي في الأدب الإنكليزي جيدة. كما أن معرفتي باللغة الألمانية لا بأس بها، هذا فضلاً عن الأدب الفرنسي.

❁ **إذن أنت هنا تنفي بوضوح عن نفسك صفة الفرنكوفونية.**

- نعم، وكتبي كما قلت لك هي الفيصل...

عاصمة النور أم التعصب؟

❁ **دعني إذن أستاذ عابد أجادلك في مسألة طرحتها أنت عندما زعمت بأن باريس بلسانها الفرنسي الخالص، هي العاصمة الثقافية الأولى عالمياً. ولكن ألا ترى معي أن ذلك الدور الذي كانت تلعبه فرنسا في زمن ما بدأ في الانحسار إلى صالح الثقافة الأمريكية التي اكتسحت الأخضر واليابس، يدعمها عتاد سياسي واقتصادي وعسكري مهول، وقبل ذلك تصميم على فرض قيمها وثقافتها؟**

- لا أعتقد أن ذلك صحيح. على الرغم من كون نيويورك الأمريكية هي مدينة

ثقافية بامتياز. إنها عاصمة المسرح إذا جاز لنا التعبير. لكن باريس تحتكم إلى تاريخ ثقافي عميق الجذور، تفتقده الثقافة الأمريكية .

❁ **عدت من باريس ووجدت الساحة الثقافة السعودية منشغلة بمعركة الحداثة. ماذا كان موقفك حيال ذلك باعتبارك أحد النقاد الكبار؟**

- كان الأمر مفاجئاً بالنسبة لي.. فالحداثة انتهت في أمكنتها التي نبتت فيها منذ الخمسينيات وظهر هناك ما بات يعرف بما بعد الحداثة.. ووجدت هنا التيارات الأدبية والفكرية تختصم في أمر (حداثة) كانت قد أصبحت ذاوية.. وبالنسبة لي فقد أصدرت كتاباً في ذلك التوقيت حول رواية ما بعد الحداثة. قلت لهم: إن الحداثة انتهت. وكذلك انتهت البنيوية. وكتبت في صحيفة الشرق الأوسط عن ذلك، وكما تعلم فإننا عادة ما نستورد الأشياء بعد انتهاء صلاحياتها.

❁ **وهل غضب أصدقاؤك من الحداثيين كالغذامي والسريحي من تلك الآراء التي كنت تكتبها سيما أنها تصب مباشرة في صالح تيار أخصامهما، قصدت تيار الأصالة؟**

- على العكس تماماً فقد اتفقنا حول تلك الآراء، حتى إن الغذامي صار يكتب عن ما بعد الحداثة..

❁ **حسناً، أنت لم تكن طرفاً في تلك المعركة بين تياري الأصالة والحداثة في بلادنا، بل كنت على الحياد كما يبدو لنا من سياق كلامك. الآن، بودي استشراف قراءة الناقد الشهير عابد خزندار لتداعيات تلك المعركة ونهاياتها التي آلت إليها؟**

- أنا دافعت عن الغذامي عندما هوجم واتهم بسرقة كتاب (تشريح النقد)، ويحسب للغذامي أنه أول سعودي ألف كتاباً طبق فيه المنهج البنيوى في السعودية بالرغم من كل ما فيه من مآخذ وملاحظات.

❁ **سأعود للغذامي الذي أصبح علامة فارقة في تلك المعركة وما بعدها. ما زلت**

أنتظر أستاذ عابد قراءتك الخاصة للاحتراب الذي شهدته الساحة الفكرية والأدبية لدينا في منتصف الثمانينيات الميلادية، وكيف آلت الأمور ؟

- في رأيي أنها كانت زوبعة في فنجان بدليل أنها انتهت ولم تؤسس لأي شيء.

❁ **من خلال حديثك السابق عن الغذامي، هل يعتبر الخزندار صديقه الغذامي رائداً للحداثة في السعودية ؟**

- نعم .

❁ **لكن أستاذنا هناك الفصيل الحداثي الآخر، قصدت به الفصيل الواقعي الاجتماعي، الذي ربما يمثله محمد العلي وفايز أبا شفاه الله، و عبدالله باخشوين..**

- محمد العلي حداثي في شعره.. وفايز أبا واقعي.. والمدرسة الواقعية انتهت منذ ما قبل الحداثة.

❁ **ولكن لو أذنت لي في طرح اعتراضي لإعطائك الريادة للغذامي، لقلت لك بأن تلكم الأسماء في تيار الواقعية، صادروا حق صديقيك الغذامي والسريحي في الانتساب أصلاً للحركة الحداثية، وقالوا عنهما إنهما ولجا من الأبواب الخلفية للحداثة وامتطيا موجتها لأغراض شخصية، وعندما انحسرت الموجة انقلبا عليها. كيف تعلق هنا؟**

- أنا قلت ومنذ مجيئي إلى المملكة بأن الحداثة انتهت في الخمسينيات، والبنيوية انتهت كذلك في الستينيات، وكتاب الغذامي صدر عام ٨٦ م، أي بعد انتهائها .

❁ **على الرغم من أنك قلت بأن الغذامي هو رائد النقد الثقافي الحديث في السعودية، ولكن هنالك من يقول بأن الرجل لا يمتلك أحقية تلك الريادة. ما هي مسوغات الخزندار لإعطاء صديقه الغذامي هذه الهبة المجانية؟**

obeikandl.com

- أنا قلت إن الغذامى هو رائد الحداثة لم أقل رائد النقد الثقافي. والنقد الثقافي مصطلح غربي وجد عند بارت والسميوطوقيين السوفييت، وقد كتبت عنهم وعن نقدهم الثقافي في كتابي معنى المعنى، وحقيقة الحقيقة، قبل أن يكتب الغذامى عن النقد الثقافي. وأنا الآن أكتب عن النقد الثقافي، مستعيناً ببحث كتب قبل أن يخرج الغذامى بمقولته عن النقد الثقافي، ولطالما قلت وباستمرار: إن النص الأدبي يحتوي على جانب جمالي وجانب أخلاقي. وعندما نتحدث عن الجانب الأخلاقي فإن هذا يدخل تحت النقد الثقافي. وبالنسبة للغرب انتهى النقد الأخلاقي مع نشوء الرواية الواقعية.. والواقعية لم تعد لها أية علاقة بالأخلاق.. والرواية الواقعية لا تصدر حكماً ولا تكبل قيماً.. إنها تصور المجتمع كما هو دون أن تحكم عليه أخلاقياً.. وبالنسبة لنا كعرب، فالشعر الجاهلي مثلاً ممتلئ بالجوانب الأخلاقية.. وعندما ظهر القرآن صار هو المصدر الوحيد للأخلاق.. وما عاد للشعر ذلك الدور الأخلاقي، حتى إننا نجد شاعراً مثل لبيد، وهو من أعظم شعراء الجاهلية، عندما سألوه عن بيت شعر يقوله قال: الحمد لله رب العالمين. وينسب إليه بيت من الشعر يقال إنه آخر ما قرضه من الشعر:

الحمد الله إذ لم يأتني أجلي.. حتى لبست من الإسلام سربالاً.

أو شيء من هذا.. أريد أن أقول بأن الدور الأخلاقي للشعر انتهى مع ظهور القرآن..

❁ **هل أفهم من كلامك أنك تنفي نظرية النقد الثقافي؟ وبالتالي تنفي ريادة الرجل لها؟**

- أنا لم أنف نظرية النقد الثقافي، ولكني نفيت ريادة الغذامي لها.

قراءة لمآلات المعركة

❀ **أطمع هنا متكئاً إلى صراحتك أستاذ عابد في موقفك ورؤيتك الحقيقية للحركة الحداثية في السعودية؟ هل انحسرت؛ لأنها حاولت الخروج عن طابعها كحركة أدبية صرفة إلى مشروع تغييري ثقافي وسياسي واجتماعي كما قال به سعيد السريحي؟.**

- الحركة الحداثية السعودية لم تؤثر في شيء أبداً.. كانت عبارة عن فقاعة سرعان ما تبخرت.

❀ **بودي معرفة أسباب انزوائك عن تلك المعركة. فعلا ألم يكن لك من دور في تلك المعركة بين التيارين؟**

- أنا قلت ومنذ البداية إنني لا أنتمي إلى الحداثة. الحداثة انقرضت بمجيء ما بعد الحداثة.

❀ **هنا دعني أتوقف معك أستاذ عابد. إذا سلمت لك بأنك لا تنتمي للحركة الحداثية المحلية، فإنه من البيّن جداً لأي متابع وراصد لتلكم الأحداث ليكتشف بسهولة كبيرة بأن عابد خزندار استُثمر جيداً ليكون مسؤول التثقيف الأول لكوادر الحركة الحداثية المحلية، حيث قام بترجمة الأفكار والرؤى الحداثية المتفاعلة في الثقافة الفرنسية والغربية عموماً وسردها سرداً غير منتظم. كيف تعلق على هذا؟**

- أنا أتتبع الحداثة وأكتب عنها لأنني اكتشفت أن مفهومها غير واضح لدى الناس. الحداثة هي خليط من العديد من الاتجاهات الأدبية إنها ليست مذهباً واحداً. بل هي عدة (حداثات)... هناك حداثة بودلير.. جويس إلخ. هذه الفكرة كانت غائبة عندنا فلم أقم بغير شرحها للناس.. وقد حاولت في كتابي حديث الحداثة توضيح ذلك..

❁ **لن أسلّم لك، وما زلت مستغرباً من محاولة نأي نفسك عن حركة الحداثة، ذكرت لك آنفاً بأنك كتبت كثيراً كتابة تثقيفية منتظمة لصالح حركة الحداثة. وأنت الآن تقول بأنك لم تكن ضمنها. هل أستطيع إذن أن أقول بأنك كنت متعاطفا على الأقل معها. صداقاتك وتناغمك معهم كان واسعاً وهو مسجل وموثق. كيف تعلق أستاذنا ؟**

- أنا صديق للجميع، وكما قلت لك: أنا نبهت الناس هنا وحتى في العالم العربي إلى أن الحداثة انتهت وحلت محلها حركة ما بعد الحداثة، صحيح كتبت كتاباً عن الحداثة ولكن للتعريف بها وليس للتبشير بها، والظروف التي أفرزت الحداثة في أوروبا لم تكن موجودة لدينا. أي أننا نقلنا شيئاً غريباً ودخيلاً على ثقافتنا.

من أي الحداثات هي ؟

❁ **أنا سعيد برأيك هذا، ولكني أسأل: كيف تصنف الحداثة التي كانت موجودة في منتصف الثمانينيات في مجالنا الثقافي المحلي ومن أي (الحداثات) استوردها مشهدنا المحلي؟**

- أعتقد بأن الحداثة الثقافية العربية تأثرت كثيراً بأدونيس، هو رائدها الحقيقي.. وأدونيس يعتبر قمة، ولكن الذين قلدوه هم من أساء للحداثة. ويمكنني أن أقول بأن أدونيس نفسه أساء للشعر بإلغائه للتفعيلة، مما جعل شعره أقرب إلى النثر أكثر من أي شيء آخر. ثم جاء مقلدوه فكانوا كالمسخ فأساؤوا بدورهم للحداثة بأكملها.

❁ **توصيف ساحر، كلمة"مسخ" هذه أستاذ عابد، دعني أستحضر في هذا المقام مقالة لك بعنوان (الحداثة موضة قديمة. الرياض) قلت فيها بأنك لست ضد الحداثة، فهي لها إنجازاتها الشكلية التي كان من الممكن أن نستفيد منها كما**

فعل أدباء أمريكا اللاتينية الذين أبدعوا أدباً خلاقاً جديداً، ولكن الذي حدث - والكلام لك - أننا أخذنا الجانب السلبي للحداثة ووقعنا في مستنقعات.. السؤال: ما هذا الجانب السلبي للحداثة الذي تلقفه الحداثيون المحليون فما فلحوا ولا أصابوا إبداعاً؟ وما تلك المستنقعات التي وقعوا فيها؟

- الجانب السلبي هو القطيعة مع تراثنا الثقافي، وإذا كان للغربيين وخاصة نيتشه ومن بعده فوكوه لهم أسبابهم الوجيهة لهذه القطيعة فهذه الأسباب لم تكن موجودة عندنا. هناك قطعاً إنجازات حداثية في الأسلوب والسرد وفي الشعر نفسه، وقد استفاد أدباء أمريكا الجنوبية من ذلك كثيراً وقاموا بتطويره، لكن هذا لم يحدث عندنا أبداً.

❁ **ولكن هل أطمع بالأسباب التي جعلتهم لا يستفيدون ولا يطورون تلك الإنجازات؟**

- إذا استثنينا الغذامي وسعد البازعي السريحي مثلاً، فإن كل الذين دخلوا موجة الحداثة لم يكونوا مثقفين ولم تكن لهم أية خلفية ثقافية.

❁ **تهنا يا أستاذ عابد في الحداثات التي سقت. لأحرر معك مصطلح الحداثة أولاً ونكمل نقاشنا تالياً. أنت تقول في كتابك إن أي تعريف للحداثة لابد وأن يرتبط بالجديد؛ لأن الجدة كما يقرر بودلير هي التي تضفي على الحداثة قيمها الأساسية.. واستطراداً تقول بأن ما هو جديد ما يلبث أن يصبح قديماً.. وهكذا تنطلق الحداثة دون أي هدف أو نهاية، وليس ثمة نقطة في مسارها هل أنت مقتنع تماماً بهذا التعريف للحداثة اللا منتهية؟**

- بطبيعة الحال أنا مقتنع بذلك ولكن هناك فرق بين الجدة والحداثة، الجدة وجدت وستوجد دائماً أما الحداثة فكانت موضة وانتهت، ودعني أتساءل هنا لماذا نحن نستشرف الحداثة ؟ إن الظروف التي نشأت فيها الحداثة في أوروبا كانت نتيجة لسيطرة دولة المؤسسات، بحيث أصبحت دولة المؤسسات هي قوة

خانقة للحريات تحول معها الفرد إلى مجرد رقم.. لقد سلبته من فرادته، ومن هنا جاءت الحداثة ثورة ضد المؤسسات، وهذا لم يكن عندنا نحن على الإطلاق.

والحداثة أبرمت قطيعة كاملة مع الماضي، فنيتشة مثلاً ألغى كل الفلسفات والتواريخ السابقة لزمانه. إلى أن جاءت ثورة ما بعد الحداثة فنشأت مرحلتان: إعادة ربط الماضي بالحاضر، والمزج بين الثقافة الشعبية والثقافة العالية، إذن الظروف التي نشأت فيها الحداثة لم تكن متوفرة عندنا، فلم تكن لدينا دولة مؤسسات؛ ولذلك انتهت الحداثة سريعة كما بدأت.

الواقعية السحرية ويوتوبيا الواقع

❀ **لكنك طرحت لنا في نفس المقالة الآنفة مصطلح (الواقعية السحرية) مبشّرا ومحتفياً، واستشهدت برواية (النهايات) لعبدالرحمن منيف وطالبت بتبني هذا اللون لمجتمعاتنا العربية. اعتراضي هنا : هل ثمة مقارنة بين مجتمعاتنا وبين مجتمعات أمريكا اللاتينية التي اشتهر كتابها بلونية الواقعية الشعرية؟ ثم ألا تعتقد أن الواقعية السحرية لم تخفف من آلام الناس في أمريكا اللاتينية حيث الانهيارات الاقتصادية على أشدها مع تخلف متزايد في حركية حياة المجتمع؟**

- أحد الشعراء المكسيكيين قال مرة: مشكلة المكسيك أنها بعيدة من الله وقريبة من الولايات المتحدة. فهناك تسيطر الولايات المتحدة على الأوضاع السياسية والاقتصادية. ولعلك تلاحظ أنه كلما نهض مصلح في أمريكا اللاتينية حاربته أمريكا وقلمت أظافره، مثل: الليندي، أو تعزله، كما هو حال كاسترو.

وأن يكون الأدب متقدماً هناك فهذا لا يتنافى مع ذلك. دعني أعطيك مثلاً تاريخياً آخر من روسيا، حيث المجتمع كان ريفياً ومتخلفاً جداً، لكنه مع ذلك

أنتج أعظم الأدباء مثل: تولستوي وديستوفيسكي وبوشكين وغيرهم. هذا نفسه ينطبق على أمريكا اللاتينية مع أدبائها. وبالمناسبة أوجه الشبه كبيرة بيننا نحن وأمريكا اللاتينية. نحن مثل اللاتينيين نؤمن بالسحر وبالخوارق والمعجزات.

وأعتقد أن العلم الذي حل كل المشكلات تقريباً، حتى صار الحديث الآن عن عالم ما بعد الفضاء، هو الذي يتحكم بالتفكير الغربي. الغربيون لا يلتفتون إلى شيء اسمه معجزات وسحر وخرافة. وليست لديهم روحانية، مثلنا، لكن تفكيرهم علمي إلى أبعد الحدود.

❁ **عفواً أستاذ عابد . الواقع يفند ما تقوله وتحاول تمريره أو إثباته من أننا ومجتمع أمريكا الجنوبية متشابهان. هنا الرسمي والشعبي ضد السحر والخرافات والشعوذة والأساطير، وثقافتنا السائدة ضدها أيضاً ويصل الأمر إلى حدّ قتل الساحر، صحيح أن بعض الفئات القليلة تعيشه وتستخدمه، لكن الأعم ضده .**

- عندما أتحدث عن الواقعية السحرية فأنا في الحقيقة أعني الواقعية الساحرة الموجودة في كتاب ألف ليلة وليلة. والموجودة في رواية ماركيز : مائة عام من العزلة.

❁ **ولكن عندما نستشهد بقصص ألف ليلة وليلة التي تتحدث عن الخير والشر وانتصار الأول، نجد عند مقارنتها بأدب أمريكا اللاتينية، أن الواقعية السحرية هناك تعتبر السحر حقيقة لا يصارعها أحد .. وهذا يدل على أن ربطك بين الواقعتين لم يكن موفقاً، فنحن نتأثر بالسحر، ولكن ذلك لا يتغلغل إلى صميم الاعتقاد؟**

- نحن نؤمن بوجود السحر، ولكن الساحر لا يضر أحداً إلا بأمر الله، وألف ليلة

وليلة نفسها هي واقعية سحرية. وهي زاخرة بإعجاز سردي تبنّوه في الغرب كما تبناه كتّاب أمريكا اللاتينية. الحكاية في ألف ليلة تنطلق منها حكاية أخرى دائماً ولذلك تجد قصصها مجموعة منتظمة من الحكايات المرتبطة ببعضها، وهذا بالذات ما استخدمه أدباء أمريكا اللاتينية.

❀ **قلت مرة، في ندوة حوار الحداثة بصحيفة (المدينة)، إن (بديل الحداثة طرح عالمياً، وأنا نوّهت به محلياً، وأنا لي شرف أن أقول إن البديل تيار ما بعد الحداثة احتوى على عدة تيارات، لكن رأيي أن أهم تيار فيها هو تيار الواقعية السحرية أو أدب أمريكا اللاتينية، هذا أدب هو بضاعتنا ردت إلينا؛ لأن الواقعية السحرية ما هي إلا الواقعية أو التراث العربي). هنا أستاذ عابد. ألا تلاحظ بأنك تناقض نفسك على نقد توجهت به نحو أدونيس والغذامي اللذين قالا: إن الحداثة من تراثنا وناقضت أنت ذلك وفندت عليهما؟**

- الحداثة ليست من تراثنا، لكن ما بعدها هو من تراثنا.

❀ **وكيف تدلل على ذلك؟**

- بوجود كتاب ألف ليلة وليلة الذي تحدثت عنه قبل قليل. وقد قرأه جارثيا ماركيز وهو صغير، وبورخيس قرأ ابن رشد وقرأ طوق الحمامة للأندلسي، وابن طفيل وغير ذلك وتأثر بها. وقرأ ألف ليلة وليلة.. اقرأ أيضاً لماركيز حكاية تلك البنت التي طارت وهي تنشر الغسيل.. إنها أجواء ألف ليلة وليلة. أو النواة التي تقع على رأس أحدهم فيتضح أن تلك النواة جنية. بدأنا نحن بعد ذلك في استخدام الواقعية السحرية، مثلما يكتب إبراهيم الكوني وسليم بركات.

❀ **أستطيع أن أفهم من كلامك هذا أن بورخيس هو الرائد الأول لما بعد الحداثة. اعذرني مرة أخرى هنا في إن أسوق لك رفضك في كتابك (رواية ما بعد**

الحداثة) وضع حد زمني فاصل بين الحداثة وما بعد الحداثة، بدعوى الزمن غير قابل للتقسيم. هلا أجليت لي ولقرائي الأمر؟

- هناك تداخل بالطبع، و هناك نقاد يعتبرون رواية يوليسيس لجويس الصادرة في عام ١٩٢٢م رواية ما بعد حداثية. وربما كانت كذلك؛ لأن جوليس سبق عصره، وأنا كتبت عنها في عكاظ، وأيضاً رواية فنيجان ويك تعتبر ما بعد حداثية، وكما أن الحداثة تحتوي على تيارات مختلفة فإن ما بعد الحداثة يحتوي على تيارات مختلفة، والواقعية السحرية أحد هذه التيارات، وبورخيس هو رائد هذا التيار، وهناك تيار آخر يمثله جاك كرواك في الولايات المتحدة وخاصة في كتابه : (في الطريق).

❀ **ولكن كيف نصل بين زمنية الحداثة وما بعدها، لنعرف، على الأقل أستاذ عابد، في أي زمن نعيش؟**

- من الصعب أن نفصل بين الزمنين، وما بعد الحداثة يتداخل الآن مع تيار يعرف بما بعد الاستعمار الـ Post colonolialismm وهو تيار أدبي مستقل جاء بعد الاستعمار، ويمثل هذا التيار أدباء مثل: أنيتا دياز الهندية، وحنيف قريشي الباكستاني وهما يكتبان باللغة الإنجليزية .... أو لنقل أنهما الناطقان بالإنكليزية من سكان المستعمرات، وهو تيار له سماته الخاصة..

❀ **هل لهذا السبب، سبب انقضاء الأيديولوجيا والنظريات، أمتّ لنا الأجناس الأدبية و أبقيت السرد؟**

- نعم، هذا هو زمن السرد.

❀ **ربما يتبادر السؤال تلقائياً هنا : لماذا السرد؟ ولماذا الجزم بأنه هو المنتصر النهائي ؟**

- الرواية تعتمد على عدة أحداث وعلى حبكة، والسرد لا يحتاج إلى ذلك. والسرد موجود في تاريخنا مثل: معلقة امرئ القيس، وكذلك عمر بن أبي ربيعة لا سيما في قصيدته " أمن آل نعم أنت غاد فمبكّر". وقد كتبت عنها مقالاً في عكاظ. لكنك تجد أسلوب الجاحظ، مثلاً سردياً سواء في (البخلاء) أم في (الحيوان) وهكذا. كما أن الأسلوب السردي موجود في ألف ليلة وليلة. وأعتقد أن ألف ليلة هو عمل عربي وليس عملاً هندياً كما يشاع. العرب اخذوا الإطار السردي في شهريار وشهر زاد ثم بنوا عليه، لكن الحكايات متنوعة من عدة بلدان غير عربية. وقد ترجمت كتاباً هو دراسة عن ألف ليلة وليلة عن اللغة الفرنسية اسمه: أنثوية شهرزاد.

❀ **إذن الأجناس الأدبية، في تقديرك، انتهت ونحن في زمن السرد. يعترضنا سؤال هائل هنا أستاذ عابد: وماذا نفعل الآن - إذا سلمنا لك بقصة الموت فهل يعنى ذلك موت الأعمال الأدبية خاصة تلك الأجناس التي أصبحت أركاناً شامخة في تراثنا وأدبنا؟**

- هذا لا يعني أن هذه الأعمال انتهت، فهي أعمال خالدة.

❀ **هل تريد أن تقول إنها ستستمر متوازية مع بديلك السردي؟**

- نعم ستستمر، فمثلاً ثلاثية نجيب محفوظ بين القصرين التي اتبع فيها واقعية بلزاك موجودة إلى جانب روايته " يوم قتل الزعيم " وهى رواية حداثية من حيث الشكل، وما أعنيه هو أننا لا نستطيع الآن أن نؤلف رواية تعتمد على الحدث، فليس هناك ما يستحق أن يروى كحدث، لا في الغرب ولا بالنسبة لنا. ولتقريب المعنى فإنك تلاحظ الآن بأن الملايين يقتلون في رواندا وصربيا والشيشان، وقريباً العراق.. إلخ، هذه الأحداث لم تعد تهز أو تحرك ضميره .. أو انظر إلى ما يحدث في فلسطين ما عاد شيئاً حدثياً ذا بال حتى بالنسبة لنا نحن العرب،

بل صرنا نستغرب ذلك اليوم الذي لا يقتل فيه أحد. وعلى هذا الأساس فإن هذه المآسي لم تعد تشكل حدثاً يستحق أن يروى ويقص، و السرد وحده الكفيل بإيصال ذلك.

❁ **اعذرني بالتوقف معك في قصة الموت. الغذامي اغتال لنا قبلك المؤلف وحكم بموته. فكرتا موت الأجناس التي تقول بها، هل تتطابق وموت المؤلف التي ادعاها الغذامي. هل ثمة من تطابق بينهما؟**

- ليس هناك موت للمؤلف، وأعتقد بأن الغذامي فهم المسألة بشكل مغلوط. فموت المؤلف تعني نهاية المؤلف بعد تأليف الكتاب، ما يعنيه ألا تهتم بحياة المؤلف أو سيرته، لكن بالمحصلة فإن ذلك لا يعني أن المؤلف غير موجود في نصه الذي كتبه بنفسه. وفي الحقيقة نحن لم نفهم فكرة (المؤلف) هذه. حتى الغذامي لم يفهمها. فكرة (المؤلف) بدأت عند نيتشة.وهو يقصد (المؤلف) (الله).

يعني (موت الله). من هنا نشأت فكرة موت المؤلف. نحن لم ننتبه لذلك فتبنيناها دون أن نعرف مرجعيتها.

❁ **يا ساتر، دخلنا هنا في إشكالية كبرى ربما تقوم الدنيا ولا تقعد. وأعتقد شخصياً أن الرجل فوق هذه الشبهة، وأهرب مباشرة من هذا الجزء أستاذ عابد إلى دعوة أطلقها محمد أركون طالب فيها بتناول النصوص الدينية بالنقد والتشريح وبوضعها وإخضاعها لأدوات البحث والتحليل الحديثة.. هل هذه الدعوة مرتبطة بفكرة موت المؤلف أيضاً؟**

- أنا لا أشكك في عقيدة الغذامي أو أي مسلم، ولعله لم يلاحظ ارتباط فكرة موت المؤلف بنيتشة، أما عن النص القرآني ودعني أقصر الكلام عليه فهو نص أنزل بلسان عربي مبين؛ ولهذا فلكي نقرأه قراءة صحيحة يجب أن تكون لدينا معرفة

كاملة بعلوم اللغة وفقهها، وأيضاً علوم العصر؛ لأن كل عصر له إنجازه المعرفي، وهذا الإنجاز قد يجعلنا نعيد قراءة بعض الآيات فمثلاً آية ﴿ **اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ** ﴾في سورة الرعد، أو ﴿ **وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ** ﴾ هذه فسرت : من ذكر وأنثى " وهذا العلم أصبح معروفاً لكل طبيب، ولهذا فإن الآية لا بد أن يكون لها تفسير أعمق من ذلك، وخذ مثلا هذه الآية من سورة " الشورى " ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ** ﴾ ، ﴿ **إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ** ﴾ " فالآن قد يأتي أحدهم ويقول إنه إذا سكن الريح فإنها يمكن أن تسير بالبخار، فإذن لا بد أن يكون للريح معنى آخر، قد يكون القوة، والنص يفسر النص فهناك آية في سورة الأنفال ﴿ **وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ** ﴾ إذن فالريح هذه القوة .

❁ **كما لو أنك تؤيد أقوال أركون؟**

- نعم. النص القرآني قابل لعدة قراءات. السيوطي قال إن القرآن حمّال أوجه. اقرأ ذلك في (علوم القرآن) للسيوطي. هذا الكلام قال به أيضا نصر حامد أبو زيد الذي كفروه. هناك نص آخر: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ** ﴾ فسره الكثيرون على أن الوسطية هي الوسط بين طرفين وهذا غير صحيح، لأن السياق يدل على أن نكون عدولاً لأن الشاهد لابد أن يكون عدلاً.

❁ **هذا من حيث المبدأ لا خلاف عليه بشكل عام. وهناك شروحات كثيرة وقراءات متعددة للمفسرين تزخر بها تراثياتنا، ولكن سأناقشك إن سمحت لي في مقولة أركون التي تشي بنفي القدسية عن النصوص المقدسة؛ وذلك بوضعها ومعاملتها كنص أدبي عادي.. وهنا تكمن الخطورة برأيي؟**

- عندما نعتبرها نصاً أدبياً فهذا لا يعني نفي القدسية عنها (ولو أنني أميل إلى الرأي القائل بأن إسباغ التقديس على الكتب تقليد مسيحي، ونحن نطلق على القرآن لفظ الكريم ولم أعثر في أدبياتنا على أحد وصف القرآن بالكتاب المقدس) بل قد يعني قراءة النصوص المقدسة بطريقة جمالية، وأعتقد أن كل كتب الإعجاز هي عبارة عن نقد جمالي للقرآن، لكن ذلك لا ينفي قدسيته. والنقاد العرب نقدوا النصوص المقدسة، وبالمناسبة كلمة النقد لا تعني التقليل من الشأن أو من القدسية شيئاً، ومع ذلك أنا أفضّل استعمال كلمة قراءة بدلاً من نقد.

النقاد العرب قرؤوا النصوص القرآنية قراءة أدبية. ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ** ﴾.. تجد هنا صورة أدبية رائعة. ﴿ **وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ** ﴾ صورة أدبية رائعة كذلك.

❁ **هذا لا جدال حوله، وتجد ضروباً مما ذكرت في تفسير الظلال لسيد قطب يرحمه الله. لكن الخوف من إسقاط صفة القدسية عن القرآن هي المعضلة هنا، ما يعني معاملته كأي نص بشري معرض للخطأ والصواب. ولا يخفى على مثلك خطورة هذه الدعوة كونها تنسف المصدر الأول لحضارة امتدت على مدى أربعة عشر قرناً..**

- أنا قلت إن القدسية تعبير مسيحي، والقرآن وُصف في القرآن نفسه بالذكر وبالكتاب وبالوحي (الوحي لغة هو الكتاب) ولكن هناك أحاديث وصفت بالقدسية؛ لأنها من كلام الله عز وجل .

محمد سعيد طيب* يردّ على الخزندار:

الشيخ زكي يماني .. لم يسع لإطلاق الجميع! والشيخ ابن جبير أمر أكبر ضابط بالجلوس والسكوت! وأثق من استكمال الخزندار .. لقناعاته قريباً جداً

أثارت (مكاشفات) الجمعة الماضية مع الأستاذ عابد خزندار .. ردود فعل مختلفة ومتعددة.. وربما امتدت آثارها .. لأسابيع مقبلة.

وفي لقاء مع الأستاذ محمد سعيد طيب .. أبدى أبو الشيماء .. كل الأسف والأسى .. على استمرار هذا الإيقاع المتوتر الذي وصفه بأنه غير منصف .. وغير عادل.. وغير مبرر.. وغير مفهوم أيضاً.!

وقال الأستاذ محمد سعيد طيب بأنه تربطه بالأربعة: معالي الشيخ زكي يماني، والأستاذ عابد خزندار، والأستاذ السيد عبد الله جفري، والمرحوم الدكتور صالح أمبا أوثق العلاقات - بالمعنى الدقيق للكلمة.. ليس منذ عدة سنوات فقط وإنما منذ عدة عقود.. وقد دخل بيوتهم جميعاً.. وتشرف بهم في بيته .. وآكلهم وشاربهم جميعاً.. ومازالت تربطه بهم تلك العلاقات الوثيقة والحميمة التي يعتز بها..؛ ولذلك فإن حزنه عميق .. لما آلت إليه الأمور بين هؤلاء الأصدقاء الأعزاء..

وأضاف أبو الشيماء .. بأنه - طيلة عقود - لم يعهد في صديقه عابد خزندار .. اللّدد في الخصومة .. ولا الرغبة في المماحكة واللجاج - بل .. على العكس .. لمس فيه - دوماً - ثلاث صفات هي: الوطنية .. والسماحة.. والشجاعة الأدبية.

نشرت في صحيفة المدينة - ملحق الرسالة - ٢١ ذو القعدة ١٤٢٣هـ.

obeikandl.com

ولذلك .. فهو واثق كل الثقة .. بأنه سيأتي يوم قريب .. تكتمل فيه قناعات الأستاذ عابد خزندار .. المستقاة من أصدقائه الحقيقيين.. ومن ذوي الدراية والإطلاع.. الذين يثق فيهم .. وفي وطنيتهم وتجردّهم ونزاهتهم .. وحيدتهم.

وعن ما ورد في (المكاشفات) بأنه - أي الأستاذ محمد سعيد طيب - أكد أن الشيخ زكي يماني تدخل من أجل إطلاق سراح الجميع. وقول الأستاذ عابد خزندار (إذا كان اليماني - كما يقول الطيب - قد تدخل لإخراجهم.. فلماذا لم يفعل ذلك منذ البداية وترك الرجل مسجوناً لمدة ثلاث سنوات؟!).

أوضح الأستاذ الطيب .. بأن الشيخ زكي لم يسع إلى إطلاق سراح الجميع - وإنما سعى - ويشهد على ذلك العديد من رجالات الدولة والمجتمع الذين عاصروا تلك المرحلة - لإطلاق المرحوم الدكتور أمبا .. بعد مضي ثلاث سنوات فقط- أما الآخرون.. فقد ظلوا - بعد إطلاق الدكتور أمبا - والطيب - من ضمنهم أكثر من سنتين ونصف.!

أي أن صالح أمبا .. قد أطلق سراحه - قبلنا - بأكثر من سنتين ونصف.!!

ثم تساءل الطيب هل بعد كل هذا .. أطلق صالح أمبا نفسه؟!

أم أن الشيخ قد توسط لدى رئيس الدولة آنذاك؟!

و أضاف الطيب: ربما غابت الكثير من التفصيلات عن تلك الفترة (نهاية الستينيات والنصف الأول من السبعينيات) لأن الخزندار لم يكن من ضمنهم.. وإنما كان من ضمن جماعة بداية الستينيات.. التي لم يكن صالح أمبا زميلاً له فيها.. وإنما الطيب نفسه كان أحدهم.!!

وأكد الطيب .. بأن هذه حقائق تاريخية.. وشهودها أحياء يرزقون .. سواء أكانوا مثقفين أم مسؤولين في الدولة..

أما فيما يتعلق بالمرحوم الشيخ محمد بن جبير.. فقال الطيب .. بأن موقفه - يرحمه الله - في تلك الفترة كان مشرفاً حقاً .. ويعتبر من أنصع الصفحات في تاريخه.

لقد نهر - يرحمه الله - خلال المحاكمة - عام ١٩٦٤م- أكبر ضابط في الجهاز.. أمره بالسكوت والجلوس .. والتفت إليّ في سماحة أبوية بالغة قائلاً: قول ما عندك يا أخ محمد سعيد.. لقد سمعت كلمة (أخ) يومها لأول مرة منذ اعتقالي..!!

وتلك قصة تطول .. ولكني سأكتبها - في يوم ما- بكل تفصيلاتها.

يرحمه الله ألف مرة.!

واختتم الأستاذ الطيب اللقاء بقوله: عندما جمعته - في الثلوثية - مع الأستاذ الدكتور منصور الحازمي.. بدا الخزندار - يومها - سمحاً نبيلاً .. وإنني واثق كل الثقة أنه سيكون أكثر سماحة ونبلاً.. عندما يستكمل قناعاته من ذوي الدراية والإطلاع.. والذين أتاحت لهم مراكزهم المتعددة أن يكونوا قريبين من الأحداث سواء في الإدارة العليا .. أو حتى على مستوى شهداء لدى الكاتب بالعدل.. أو غيره لبعض المشاركات التي تمت - ذلك الوقت - مع المرحوم الدكتور أمبا.

وأضاف الطيب - متأثراً:

- ليرحم الله من مضوا .. وليدرك الباقون - دون استثناء- بأنه قد مضى من العمر أكثره.!!

ساحة بقلب ورفقاء بمشاعر!!

بقلم : د.عاصم حمدان*

يؤسفني القول إننا - معشر الكُتَّاب في ساحة الثقافة والفكر والأدب - من أكثر الناس انتقاداً للآخر، ومن أكثرهم ضجيجاً في كل واد حول ما يصلح وما لا يصلح، وما هو قائم من الأمر وما يجب عليه أن يكون، ولكننا من أقل الفئات بحثاً في دواخلنا عن مكامن الداء ومواضع الضعف، وفي كثير من الأحيان لا نعطي أمثلة عملية من حياتنا وسلوكنا لما ندعو إليه من شفافية وديمقراطية وتعددية.

لقد مرت أشهر عديدة ونحن نرى في هذه الساحة صراعاً ضارياً نفتقد في بعض الأحيان - من خلاله - الحد الأدنى من المفاهيم والسلوكيات المطلوب توفرها في أطراف الحوار، فهذا لا يتورع عن إلصاق تهمة - من النوع الثقيل - بنظيره أو محاوره، ولم يسلم من ذلك من تصنفهم كمحافظين وآخرين ليبراليين أو مجددين، ولم يفرق الداء بين جسد وآخر، فشمل من تعلموا في جامعات ذات صبغة عربية وإسلامية محضة وأخرى غربية السمات أو إفرنجية الملامح.

والأشد من هذا والأنكى هو أن المدرج في الساحة مليء بالمشاهدين والمتفرجين ونضيف (والمتسلّين) - بضم الميم وتشديد اللام - وقلة من هؤلاء ممن يعنيهم تخفيف حدة هذا الصراع الذي تحول إلى داء ينخر في جسد المجتمع ويتسبب في تلاشي صداقات دامت لعدة عقود من الزمن، وقلة من هؤلاء ممن يسعى لجمع

* نشرت المقالة بتأريخ ٢٥ ذي القعدة ١٤٢٤هـ بصحيفة المدينة

obeikandl.com

أطراف هذا الحوار أو الصراع فيؤلف قلوبهم بدلاً من أن يفرقها، ويقرب أفكارهم عوضاً عن تباعدها وتنائيها، وقلة من يعنيهم أمر شيخ طاعن في السن أو حبيب يرقد في غرفة الإنعاش، فإذا نحن نستغل ضعف قواه فنرميه بالسهام الطائشة، وهذا مما تنفر منه الطباع السليمة والأخلاق الإنسانية، أو أخ يمر بظروف حياتية صعبة فيقودنا الهوى لاستغلال هذه الثغرة فنهجم عليه ونثخنه جراحاً! فلنسأل أيها الزملاء - وأنا واحد منكم - كيف قضى أديب واعد مثل: صلاح عبد الصبور، فلقد اتهمه أحد أصدقائه في وطنيته، وكان - عبد الصبور - حيياً وخجولاً؛ فاستغل ذلك الصديق المحسوب عليه هذه الفضيلة وذلك النبل في شخصيته فردد تلك الاتهامات عليه في محفل من الناس، وفي الليلة التي كان عبد الصبور يتوقع أن تكون ليلة وفاء له وفرح بمقدمه وإشادة بإبداعاته الشعرية، وكان بعض الرفاق يتمنون على المهاجم - والمحسوب صديقاً أو رفيق عمر - أن يصمت، وظل يلاحقه حتى أخرجوه - أي الضحية - من مكان الاحتفال مغمي عليه، وأسدل الستار على حياة عبد الصبور، ولم يفعل الرفاق بعد ذلك شيئاً بالجاني، الذي سفك دم أخيه بالكلام الذي هو أمضى من السيف المسموم حداً.

نعم أيها الزملاء، الذين أحب بلا استثناء وأقدر من دون تمييز، نعم أيها الرفاق الذين أطل عليهم بشوق من كوة الدار، من فتحة (الروشان) نعم يا أعزائي !! لم يأخذوا على يد الجاني ويعيدوه - بأي سبيل ممكن وحضاري - إلى رشده وصوابه، ولم يكن هو - أي رفيق عبد الصبور - يملك من الضمير الحي والإحساس الإنساني ما يكفي لمعرفة خطيئته وشنيع فعلته وما ألحقه من ضرر فادح بحياة زميله المرهف الإحساس والرومانسي المشاعر والذي وجد في (الحلاج) المقتول - من وجهة نظره - وحياته المشردة ما يخفف عنه عذابات هذه الحياة وشدة وطأتها عليه وهوانه على

بني قومه وعدم استشعارهم بأن إنساناً أو رمزاً أو مثالاً لا يعيش بينهم، وهل كان بكاؤهم عليه ورثاؤهم له في الدوريات والمحافل يرضي نفسه عند البارئ عز وجل.

ولنكن صرحاء أيها الزملاء الذين إلى مرآهم أحن، وبمشاعرهم الصادقة يتغذى وجداني المنهك هو، الآخر كم من أمثال عبد الصبور سوف يذهب إن لم نع الدرس ونتعلم من المأساة.

*** كاتب وأديب سعودي**

obeikandl.com